صورة الخليفة سليمان بن عبد الملك بين المدح والذم
دراسة تحليلية (٩٦-٩٩هـ/٧١٥-٧١٧م)

د٠ طارق محمد العزام (*)

د٠ محمد علي الروسان (*)

تمهيد:

تهدف الدراسة إلى تحليل لصورة الخليفة سليمان بن عبدالملك في المصادر، وفهم ارتباطها بخلافة عمر بن عبد العزيز، ثم تحليل العوامل وراء الروايات الطاعنة على سليمان وخلافته. فالروايات التاريخية تجمع على تميز الخليفة سليمان بن عبد الملك بالعقل والتدين، وفصاحة اللسان والفطنة، والأدب الجم، ولين الجانب(١)، وتؤكد حسن سياسته مع الرعية، وبعده عن العنف والبطش وسفك الدماء(٢)، وإيثاره العدل(٣)، والرحمة والعفو(٤)، وهو ما أكده أهل زمانه بقولهم: "سليمان مفتاح الخير"، لإطلاقه المساجين، وإعادة المنفيين،

(*) أستاذ مشارك/ جامعة البلقاء التطبيقية/ كلية اربد الجامعية.

E-mail: ta.١٩٧٣@bau.edu.jo

(*) أستاذ مشارك/ جامعة البلقاء التطبيقية / كلية اربد الجامعية.

E-mail: dr.mrousan@ bau.edu.jo

العنوان: جامعة البلقاء التطبيقية كلية أربد الجامعية / قسم العلوم الأساسية.

ص.ب: ١٢٩٣

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٧٥.

(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف، ج٨، ص٩٩، ١٠٧.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص١١٠٨

(٤) حسين، خلافة سليمان، ص٩٣.

وإنصاف أهل المظالم، وقسمته الأموال بين الناس[١]، ووصفه المؤرخون بأنه كان من خيار خلفاء بني أمية، وشددوا على أفضلية خلافته، بقولهم افتتح خلافته بخير وختمها بخير[٢]، وأكدوا تميزه وعلو همته وقوة عزيمته برغم قصر مدة خلافته[٣].

كذلك فقد أثنى عليه علماء عصره وأهل زمانه لإنهائه كثيراً من الخلافات الفقهية والسياسية العالقة بين الدولة الأموية من جهة والناس من جهة أخرى، فيروي الهيثم بن عدي (ت٢٠٧/٨٢٢م) ثناء الحسن البصري (ت١١٠هـ/ ٧٢٨م)، وابن سيرين (ت١١٠هـ/٧٢٨م)، والشعبي (ت١٠٣هـ/٧٢١م)، وأبو حازم الأعرج (ت١٤٤هـ/٧٦١م)، والزُّهري (ت**١٢٤هـ/٧٤١م**)، ووصفهم خلافته بالقول: "افتتح الخلافة بإحياء الصلوات في مواقيتها، ومحا سُنَن الحَجَّاج وسجونه وبِدَعه، وما لقي منه الإسلام والمسلمون، ثم ختم خلافتَه باستخلاف العبد الصالح عمر بن عبد العزيز رحمه الله"[٤]، وبذلك أنهى سليمان الخلاف حول تأخير الصلاة، آمراً ولاته: "إن الصلاة كانت قد أميتت فأحيوها وردوها إلى وقتها"[٥]، كما اهتم بإصلاح آثار سياسة الحجاج المتشددة والمسرفة في البطش والقتل[٦]، كما أوقف سليمان عادة لعن الخليفة علي بن أبي طالب على المنبر، فلقب لذلك بالمهديّ[٧]، وقد امتدح الشعراء[٨] حسن سياسته وتعامله

(١) البلاذري ، أنساب الأشراف، ج٨، ص٩٩، ١٠٨. الطبري تاريخ، ج٦، ص٥٤٦.
(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١١٠٨/٢.
(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج١٠، ص١٩٧
(٤) السابق، ج١٠، ص٢٠٢.
(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١١٠٨/٢.
(٦) مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص١٧.
(٧) المسعودي، التنبيه والأشراف، ص٢٩٠، البلاذري، إنساب الأشراف، ج٨، ص١٠٤.
(٨) ابن قتيبة الدينوري، المعارف، ص٣٦٠.

مع الناس، فوصفه الفرزدق بالمهدي وأثنى على سياسته[١]، ومدحه أيضا الوافدون عليه من الناس لعدله وفضله، وأمل الناس بحكمه وسياسته[٢].

وتتمحور **إشكالية الدراسة** في محاولتها قراءة الفترة التي حكم بها الخليفة سليمان الدولة الأموية بين من رأوا فيها امتدادا طبيعيا للخلافة الأموية، وبين من رأوا فيها تطورا في السياسة الأموية .

وتتلخص إشكالية الدراسة في محاولتها الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- كيف كتب المؤرخون عن خلافة سليمان بن عبد الملك؟
- وعلى ماذا احتوت الروايات الطاعنة على خلافته؟ وما أسبابها؟
- **ملامح سياسة سليمان بن عبد الملك والطعون عليها:**

قد شدد سليمان منذ توليه الخلافة على خطاب ديني واضح جلي، أكد من خلاله تدينه والتزامه الديني، وسعة علمه وفهمه، والتزامه بحدود الشرع الإسلامي، فكانت خطبته الأولى بعد الخلافة تأكيده على زوال الدنيا، وأنها دار غرور وزينة وتقلب للأحوال، وحثه الالتزام بكتاب الله، والرضا بأحكامه، فهو الدليل والهادي في الحياة[٣]، ولم يكن هذا الطرح مقتصرا على خُطبته الأولى، بل كان توجهه الدائم في كل خطبه يوم الجمعة، فقد شدد على تذكير الناس وتحذيرهم، بأن لا يركنوا للدنيا فهي لا تدوم ولا يدوم نعيمها، قارئا قوله تعالى: **{أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ* ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ* مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ}**[٤]، ومشددا على اليقين أن الدنيا فانية زائلة، وأن لا طريق للمرء إلا بالتمسك بالدين والتزام الشرع، وأن الحكم لا يقوم ولا يكون إلا بأئمة العدل

(١) البلاذري ، أنساب الأشراف، ج٨، ص١٠٣-١٠٤، الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص٣٣٧-٣٣٨.

(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف، ج٨، ص١٠٩.

(٣) السابق، ج٨، ص١٠٤، المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص١٧٤

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١١٠٩/٢، سورة الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧.

ودعاة الحق، وأنه لم يحرص على الخلافة ولم ينافس بها أحدًا، ولولا أن الخلافة تكليف من الله، لود أن يكون واحدًا من الناس، وأن الخلافة ليس لها إلا سبيلان العدل أو النار[١]، ويلاحظ أن مضمون خطاب سليمان السياسي قائم على الترغيب والتسامح والاعتدال، أكثر من استخدامه للترهيب الذي كان سمة سياسة والده عبدالملك بن مروان وأخيه الوليد[٢].

وقد سعى سليمان أيضا لإصلاح وإعادة المجتمع الإسلامي لفطرته السليمة، فحارب كل مظاهر التفلت وعدم الالتزام، فتشدد مع المغنين والمخنثين[٣]، وعاقب كل من يعتدي على حرمات الناس ويؤذيهم، فنفى الأحوص الشاعر (ت١٠٥هـ/٧٢٣م) إلى جزيرة دهلك، بعد أن ضربه مئة سوط، لتشبيبه بنساء أهل المدينة[٤].

كما بدت حقيقة ملامح سياسة سليمان الملتزمة بالشرع والدين بسعيه التقرب من العلماء والفقهاء من كبار التابعين، ومجالسته لهم، وإحاطة نفسه بهم[٥] فكان لهم أثر كبير في خطابه الإيماني[٦] وفي زهده في الدنيا، من ذلك لقاؤه بعدد من

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج١٠، ص٢٠٣.

(٢) عبابنة، خلافة سليمان، ص٦٨، ٧٥، الصريراة، التكوين الثقافي لعبدالملك بن مروان وولديه الوليد وسليمان، مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مؤتة، م٢٥، ع٥، ٢٠١٠م، ص٧٩.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ١٨.

(٤) الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص٦٥٦.

(٥) الصريراة، التكوين الثقافي لعبدالملك بن مروان، ص٧٩.

(٦) غسان وشاح، محمد الهوبي، الدور الحضاري لسليمان بن عبدالملك في فلسطين (٨٦-٩٩هـ/ ٧٠٥-٧١٧م)، مجلة كلية العودة للبحوث والدراسات القانونية والإنسانية، كلية العودة الجامعية، غزة، ع٤، ٢٠١٩م، ص٢١.

العلماء منهم أبو حازم الأعرج[١]، وطاووس(١٠٦هـ/٧٢٤م)[٢]، وعطاء بن أبي رباح (ت١٤٤هـ/٧٦١م)[٣]، ومنها اجتماعه بجمع من العلماء وكبار التابعين، ومحاورته لهم في حجه، ضم القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت١٠٨هـ/٧٢٦م)، والزهري، وخارجة بن زيد بن ثابت (ت٩٩هـ/٧١٧م)، وسالم بن عمر بن الخطاب (١٠٦هـ/٧٢٤م)، وعبد الله بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب[٤]، ومنها تقريبه ومبالغته باستقبال سالم بن عبد الله بن عمر[٥]، ومصاحبته للتابعي عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل(ت١٠٠هـ/ ٧١٨م)[٦].

كما تميز سليمان في سياسته الإدارية، فسعى أن لا يولي إلا الأكفاء والصالحين[٧]، فولى الفقيه التابعي عدي بن عدي بن عميرة الكندي على أرمينية، وأذربيجان، والجزيرة[٨]، وولى محمد بن يزيد مولى قريش إفريقية والمغرب، والذي تميز بحسن سياسته وإدارته لولايته[٩]، وكان حاجبه أيضا أبو عبيد المذحجي صاحب العلم والرواية[١٠]. وكتب له عبدالرحمن أبو أمية السندي

(١) البلاذري ، أنساب الأشراف، ج٨، ص٦٤.
(٢) السابق، ج٨، ص١١٧.
(٣) عبابنة، خلافة سليمان، ٤٠.
(٤) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ٢٩٨، البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص ١٢.
(٥) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٠، ص١٠٥.
(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١١٢٣/٢.
(٧) حسين، خلافة سليمان، ص٩٥.
(٨) سبط ابن الجوازي، مرآة الزمان، ج١٢٠/١١. حسين، خلافة سليمان، ص٩٥.
(٩) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في تاريخ المغرب، ج١، ص٤٧.
(١٠) مالك بن أنس، الموطأ، ج١١٣/٦.

وهو من رواة الحديث[١]، كذلك تميز سليمان بسرعة استجابته لتظلمات الرعية من الولاة، فبعد وصوله شكوى أهل حضرموت من واليهم، كتب بعزله، وأمر برد مظالمه والاقتصاص منه[٢]، كذلك أمر سليمان بضرب خالد القسري واليه على مكة، لقذفه امرأة من قريش، كما عزل عثمان بن حيان المري عن المدينة وضربه الحد لشربه الخمر وقذفه عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان[٣].

ومع رفض سليمان سياسة الحجاج وعزل عماله، إلا أنه لم يتجه قط إلى البطش في خصومه، فعندما قبض على عامل الحجاج يزيد بن أبي مسلم على الخراج، قرعه ولعن الحجاج لتوليته له وإطلاق يده في أمور الناس، ثم تركه ولم يعاقبه[٤]، وكان هذا اتجاه سليمان مع كل خصومه فلم يلجأ إلى الانتقام منهم[٥]، وإن تعددت الروايات التي تؤكد سوء تعامله وانتقامه من ولاة أخيه الوليد بن عبدالملك، إلا أن دراسة وتمحيص الروايات حول مصير ولاته يظهر صورة مغايرة لهذه الاتهامات، فلم يسع سليمان للانتقام من قتيبة بن مسلم، إنما خاف قتيبة من انتقام سليمان، فحرض جنده على خلع سليمان، لكن تحرك قتيبة واجه معارضة القبائل العربية، فانتهى تحركه بمقتله هو وإخوته، وأرسلت رؤوسهم إلى سليمان، فسمح سليمان بدفنها، معلقا على الأمر: "نعم، وما أردت هذا كله"[٦]، ولم ينصبها (أي رأس قتيبة وإخوته) للناس كما كان يفعل الأمويون

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣/٩١٥، وشاح، الدور الحضاري لسليمان، ص٢٨.
(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج١٠، ص٢٠٢.
(٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ٢٩٤، وشاح، الدور الحضاري لسليمان، ص٢٣.
(٤) البلاذري ، أنساب الأشراف، ج٨، ص١٠٦.
(٥) حسين، خلافة سليمان، ص٩٣.
(٦) الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥١٨-٥١٩، اليعقوبي، تاريخ، ج٢/٢٩٥-٢٩٦، وللمزيد حول الموضوع انظر: عبابنة، خلافة سليمان، ص٧٩-٨٢.

من قبل برؤوس الثوار والخارجين عليهم[١]، ويؤكد الدينوري أن تحرك قتيبة ضد سليمان كان السبب في قتله بقوله: "ولم يزل قتيبة بخراسان سنين حتى شغب عليه أجناده، فقتلوه"[٢]. كذلك فقد نقم سليمان على موسى بن نُصَير، لكنه عفا عنه بعد توسط يزيد بن المهلب له، وقربه منه وجعله من مستشاريه وخاصته حتى وفاته[٣]، ويظهر مما سبق أن هناك سياسة مرنة في بُعْدها الإنساني والإداري في ملامح حكم سليمان بن عبد الملك.

وعلى الرغم من ثناء معاصري سليمان على خلافته، وتأكيد المؤرخين على حسن سياسته التي يجملها ابن كثير بقوله: "وكان فصيحا بليغا، يحسن العربية، ويرجع إلى دين وخير ومحبة للحق وأهله، واتباع القرآن والسنة، وإظهار الشرائع الإسلامية رحمه الله"[٤]، فإن الباحث – في مقابل هذا- يلاحظ أن هنالك اتجاها ونزعة في المصادر التاريخية لاتهام سليمان والحط من مكانته، والتشكيك بدينه، باتهامه بالترف، والغرور، وأن عمر بن عبد العزيز كان العامل الأهم في توجيه سياسته وحسن إدارته[٥]، وتبدو هذه الصورة المتحاملة على سليمان فيما يرويه اليعقوبي من انزعاج سليمان من المجذومين وإجراسهم وأمره بإحراقهم، وأنه لم يبدل رأيه بإحراقهم إلى نفيهم، إلا بعد تدخل عمر بن عبدالعزيز بالأمر[٦]. وهذه الصورة المتناقضة لسليمان تتجلى في وصف المسعودي له بقوله كان: "فصيح اللسان، كثير الأدب، لين الجانب: شديد العجب

(١) العزام، الخطاب الأموي، ٨٧.

(٢) الدينوري، الأخبار، ٣٢٨، عبابنة، خلافة سليمان، ص٨١.

(٣) للمزيد حول الموضوع راجع: عبابنة، خلافة سليمان، ص٨٥-٩١.

(٤) ابن كثير، البداية، ج٢٠٧/٩.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١١٠٨/٢.

(٦) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ٢٩٨-٢٩٩.

بشبابه وجماله، أكولا، نهما، نكاحا، لا يعجل إلى سفك الدماء، ولا يستنكف عن مشورة النصحاء، فيه حسد شديد"[١].

ولا تتوقف الروايات في المصادر على ما سبق، بل تتجه لاتهام سليمان بالشَّرَه والمبالغة في حب الطعام، عبر إيراد روايات عديدة تغالي وتبالغ أيما مبالغة بالادعاء حول كمية طعامه، فتذكر أنه كان يأكل كل يوم عشرة أرغفة خبز، وخروفين كبيرين، ودجاجتين[٢]، وأنه تناول أربعاً وثمانين كلية خروف وأربعة وثمانين طائرًا في المدينة أثناء توجهه للحج، وأنه بعد أن فرغ منها دعا الناس إلى طعامه، وعاد للأكل معهم[٣]، وأنه أيضا أكل في الطائف بعدما استضافه أحد رجالها مئة وخمسًا وسبعين رمانة، وخروفا وست دجاجات ومكيال زبيب، ثم عاد للأكل مع الناس[٤]. ثم تنحى الروايات منحًى آخر تسعى من خلاله لاتهام سليمان أن الطعام كان شغله الشاغل وهمه الوحيد في خلافته، ويشغله عن حاجات الناس، فكان يكره أن يقاطع أثناء طعامه، ويسب من يقاطعه[٥]. ثم تحاول الروايات تأكيد هذه التهم بالاستدلال بوصف الخليفة العباسي المنصور لسليمان بالنهم والانشغال بالطعام والنساء[٦]. وأن آثار طعامه بقيت بادية على ملابسه بعد مضي سبعين عاما وأكثر على وفاته، بعدما وجد صندوق ملابس أموي يخصه زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد[٧]. ثم في محاولة أخيرة لتأكيد تهم شراهة سليمان تدَّعي بعض الروايات أن سبب مرضه

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف،٢٧٥.

(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف، ج٨، ص١٠٨، ١٠٩.

(٣) البلاذري ، المصدر السابق، ج٨، ص١٠٩-١١٠.

(٤) البلاذري ، المصدر السابق، ج٨، ص١١٠-١١١.

(٥) البلاذري ، المصدر السابق، ج٨، ص١١٢.

(٦) البلاذري ، المصدر السابق، ج٨، ص١١٤-١١٥.

(٧) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج١٠، ص١٩٨.

ثم وفاته كان إكثاره من الطعام وتخمته به[١]. ولا تتوقف الروايات على هذا الحد، بل تلجأ لاختلاق الأساطير للطعن على سليمان، بالقول إن جسده اضطرب في أثناء دفنه وادخاله قبره، وأن عمر بن عبد العزيز فسر الحادث بأن الملائكة عاجلته بالعذاب[٢].

وتجد الدراسة أنه في حين يتهم سليمان بن عبد الملك في شخصه باعتباره منشغلا بأمور الدنيا من الطعام والنساء، في مقابل تأكيد المؤرخين وعلماء عصره على تميز شخصيته باللين والورع والحكمة، وعلى حسن سياسته وعنايته بأمور دولته وسعيه لنشر العدل فيها. وهو ما يثير الشك في صدق الروايات التي طالت شخصية سليمان بن عبد الملك، باعتبار أن العرب ربطت بين الرجل (البطون) محب الأكل وبين الغباء والفشل. وهنا كيف تستقيم هذه الفكرة في قراءة فترة حكم سليمان، التي امتازت بالعدل والازدهار؟!

نظرة تحليلية لصورة سليمان وخلافته:

خلافة سليمان تمثل فترة تاريخية مميزة من تاريخ الخلافة الأموية، فمنذ توليه الخلافة أكد على إعادة الخلافة إلى أسسها الأولى في الحكم، بالالتزام بالكتاب والسنة، فاتصفت سياسته بالاعتدال والإنصاف والبعد عن البطش والشدة، والحرص على التزام حسن سياسة الرعية، ورد المظالم إليهم، ورفع كل مظاهر الظلم والبطش والقمع عنهم، فاستعان لذلك بالفقهاء واعتمد عليهم في إدارته للدولة، فكان أهم مستشاريه رجاء بن حَيْوة، صاحب العلم والدين والأمانة[٣] وعمر بن عبدالعزيز[٤]، الذي كان بمثابة وزير له[٥] لا يقطع أمرا إلا

(١) البلاذري ، أنساب الأشراف، ج٨، ص١١٢-١١٣.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ٥٠/٧.

(٣) مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٣٨.

(٤) ابن كثير، البداية، ج٩، ص٢٠٢، حسين، خلافة سليمان، ص٩٣.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٥، ص١٢٥

بمشورته[١]، كذلك كان حاجب سليمان أبو عبيد الحاجب مولاه من العلماء المحدثين[٢].

لا شك أن خلافة سليمان تمثل تيارا إصلاحيا بدأ بسليمان واكتمل بعمر بن عبد العزيز، وبداية مرحلة جديدة، تغير فيها أسلوب الحكم[٣]، فخلافة عمر بن عبدالعزيز ليست إلا امتدادا طبيعيا لخلافة سليمان[٤]، وأن النظرة التحليلية المباشرة للسياق التاريخي والاجتماعي لفترة حكم سليمان بن عبد الملك، تشير إلى أنها كانت تمثل إرهاصا مباشرا لحكم عمر بن عبدالعزيز الحاكم العادل، ودليل ذلك هو الاستقرار السياسي والاجتماعي وسلاسة انتقال السلطة من سليمان إلى عمر، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن سليمان هو من ولَّى عمر بن عبد العزيز وليا للعهد من بعده، فهذا يعني أن هناك توافقا شخصيا وفكريا بين الخليفتين، فعهد سليمان بالخلافة من بعده لمستشاره الأول عمر بن عبدالعزيز، ولم تكن وليدة الصدفة أو الظروف، بل تؤكد الروايات عزم سليمان على تولية عمر في فترة مبكرة من خلافته، وهو ما يشير إليه ابن عبد الحكم بقوله: "لم يزل سليمان بن عبد الملك يدبر ولاية عمر بن عبد العزيز"[٥]، بل ينفرد سبط ابن الجوزي برواية عن الهيثم بن عدي أن سليمان استشار الزهري ومكحول الشامي(ت١١٢هـ/٧٣٠م) عندما وفدا عليه بتولية عمر بن عبد العزيز[٦]، لم تكن هذه التولية والعهد بالخلافة من سليمان لعمر إلا تأكيد للتقارب الكبير بين

(١) أبو زرعة، تاريخ، ص٤٥.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣، ص٣٤٧.

(٣) عبابنة، خلافة سليمان، ص٦٧، ٧٥.

(٤) حسين، خلافة سليمان، ص٨٩.

(٥) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص١٠٦.

(٦) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج١٠، ص١٨٥.

سليمان وبين عمر بن عبدالعزيز، وهذا التقارب يؤكده أبو زرعة الدمشقي بقوله: "كانت خلافة سليمان بن عبد الملك كأنها خلافة عمر بن عبد العزيز، كان إذا أراد شيئا، قال له: ما تقول يا أبا حفص؟ قالا جميعا"(١).

فسليمان أراد إصلاح ما أفسدته سياسة الحجاج المتشددة المبالغة في الظلم والقتل والتعدي والعسف وسجن الناس، فاتجه سليمان مدفوعا بحسه الديني لحسن سياسة الرعية، وللتخفيف عنهم وإنصافهم(٢)، وسماع شكاويهم، فلم يتردد بالاستماع لشكوى رجل وإنصافه، بعدما قاطعه أثناء خطبته، وحذره من الظلم، بأن رد إليه مظلمته، وزاد في مكافأته(٣).

وعلى الرغم من تميز خلافة سليمان واختلافها عن سابقاتها، فإن روايات عديدة توردها المصادر تطعن وتشوه وتشكك في خلافته وسياسته وصفاته وحسن إدارته، وهذه الصورة المتناقضة لخلافة سليمان مدعاة للشك، ففي حين لم تُثِرْ شخصية عمر بن عبد العزيز أي جدل، أثارت شخصية وحكم سليمان الكثير من الجدل، ما يدفع الباحث للبحث وفهم الدوافع وراءها، والتي تتركز حول مجموعة من العوامل، وأهمها العداء للأمويين ومحاولات تشويه صورتهم(٤)، ورفض أي صورة تخالف الصورة النمطية للخلافة الأموية التي اتهموها بأبشع الأوصاف، ولأن خلافة سليمان تخالف الصورة العامة التي نسجت وأكدتها العديد من الأخبار والحوادث حول الأمويين وخلافتهم، فلهذا سعى الرواة لتأكيد أن خلافة سليمان وإن ظهرت بمظهر وسياسة مختلفة إلا أنها لا تبتعد عن الصورة المشوهة للخلفاء الأمويين، باتهام سليمان بالانشغال بملاذّه

(١) أبو زرعة تاريخ، ص٤٥.
(٢) مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص١٧.
(٣) أحمد بن حنبل، الزهد، ٢٩٨.
(٤) عبابنة، خلافة سليمان، ٤٣، ٤٦.

الخاصة، وخاصة أن التاريخ الأموي لم يكتب إلا في العصر العباسي ومن قبل معارضي الدولة الأموية في العراق والحجاز، ويلاحظ تحامل المؤرخين ذوي الميول الشيعية كاليعقوبي والمسعودي، بل نجد من المؤرخين المحدثين من أنساق وراء التهم الموجهة لسليمان، فنسج بحثه حول الروايات الطاعنة رافضا أي رواية منصفة وتخالف موقفه المتزمت من سليمان[١]، غير مبال في الروايات المخالفة لوجهة نظره ورأيه.

كذلك تنحو الروايات بشكل صارخ إلى نسبة هذا التحول في سياسة سليمان لعمر بن عبد العزيز، بالقول إنه العامل الفاعل والرئيسي في ذلك كله، متناسية الصفات والعوامل الذاتية عند سليمان، بل لربما تحاول الروايات تشويه صورة خلافة سليمان في سعيٍ لإظهار خلافة عمر بن عبد العزيز، وتمييزها عما قبلها، لتأكيد أنها كانت ظاهرة خالفت عموم تاريخ الخلافة الأموية، وتعتقد الدراسة أن نجاحات عمر بن عبد العزيز في مختلف المجالات واستقرار حكمه بصورة كبيرة، هو ما أثر على النظرة إلى فترة حكم سليمان وتهميشها في كتب التاريخ، لا بل انتقادها، لهذا تغافل الرواة والمؤرخون عن التقارب الكبير بين سليمان وعمر وبين ملامح خلافتيهما، ورفضوا هذا التقارب رغم مدحهم صفات سليمان، ورغم الروايات العديدة التي تؤكد ثناء معاصريه من الفقهاء والعلماء والصالحين والناس عليه.

وأما عن التهم الأخرى الموجهة لسليمان كانشغاله بالنساء والطعام، فلا دلائل تاريخية أو شواهد تؤكدها[٢]، ولا يمكن اعتبار رأي الخليفة العباسي المنصور[٣]

---

(١) وفاء محمد علي، سليمان بن عبدالملك وعهد تصفية الحسابات، مجلة ندوة التاريخ الإسلامي، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، ع٨، ١٩٩٠م.

(٢) عبابنة، خلافة سليمان، ٤٣.

(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف، ج٨، ص١١٤-١١٥.

وحكمه على سليمان تأكيدا لهذه التهمة، فرأي المنصور متحيز ومتعصب صدر من خليفة يصف أعداءه، وسعى لإظهار تميز خلافته وقومه عن خلافة الأمويين، وخاصة أن خلافتهم (أي الخلافة العباسية) كانت في مراحلها الأولى بعد التأسيس. ثم إن التهم والروايات حول شراهته ونهمه بالطعام لا تستقيم قط والطبيعة البشرية[١]، فالروايات تظهر فيها المبالغات وكميات طعام ليس لبشر القدرة على أكلها، ولو صحت هذه الروايات لظهر أثر هذا الطعام على سليمان، لكن على العكس منها، فلم يُعرف سليمان بالسمنة المفرطة، بل عرف عنه أنه كان رجلا: " رجلاً طويلاً، أبيض قضيف البدن"[٢]. كذلك فــقد شكك المؤرخون المتأخرون كالذهبي وابن كثير والقلقشندي في هذه الروايات [٣]. كما أن الروايات حول وفاة سليمان بالتخمة، تناقض تأكيد روايات عدة أن سليمان توفي وهو في "مرج دابق" على رأس جيش متأهب لإمداد أخيه مَسْلَمة في حصاره للقسطنطينية[٤]. بعدما أصيب بالحمى التي فشت بين جنوده وجواريه، وأن حالته زادت واشتدت عليه الحمى أسبوعا ومات بعدها[٥].

الخلاصة:

يُعدُّ سليمان بن عبد الملك من أفضل خلفاء بني أمية، وتميزت خلافته بإنصافه الناس ورد المظالم عنهم وقربه منهم، وباتجاهه الديني في الحكم، وإحاطة نفسه ببطانة من العلماء والحكماء والصالحين، أمثال رجاء بن حيوة، وعمر بن عبد العزيز وغيرهما، بل لقد كانت خلافة عمر بن عبدالعزيز امتدادا لخلافة سليمان بن عبدالملك.

---

(١) عبابنة، خلافة سليمان، ٤٧.
(٢) اليعقوبي، تاريخ، ج٢/٢٩٩، المسعودي، التنبيه والإشراف، ٢٧٥.
(٣) ابن كثير، البداية، ج٩، ص٢٠٤، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص١١٠٩، القلقشندي، مآثر الإنافة، ج١، ص١٣٩.
(٤) المسعودي، التنبيه والإشراف،٢٧٥
(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص١١١٠.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر:

- البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، تحقيق بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ٢٠٠١م.
- البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، ط١، تحقيق سهيل زكار، رياض زركلي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عطا، مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٢م .
- الجمحي، محمد بن سلّام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.
- ابن حنبل، أحمد بن حنبل، الزهد، وضع حواشيه محمد شاهين، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٩م.
- أبو حنيفة الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، ط١، ١٩٦٠
- الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام، وفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ٢٠٠٣ .
- أبو زرعة الدمشقي، عبدالرحمن بن عمرو، تاريخ أبي زرعة الدمشقي، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٦م.
- سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزا وغلي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تحقيق محمد عرقسوسي، عمار ريحاوي، الرسالة العالمية، ط١، دمشق، ٢٠١٣م.

- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.
- ابن عبد الحكم، عبد الله بن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبدالعزيز، تصحيح، أحمد عبيد، ط٦، عالم الكتب، ١٩٨٤.
- ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ دمشق، ط١، ٨٠م، تحقيق: عمر بن عرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.
- ابن عبد البر القرطبي، يوسف بن عبد الله، الاستذكار، تحقيق سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م .
- القلقشندي، أحمد بن علي، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار فراج، عالم الكتب، بيروت.
- ابن كثير، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، ط١، دار أحياء التراث، ١٩٨٨م .
- مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية – أبو ظبي – الإمارات، ط١، ٢٠٠٤ م
- مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج٣، نشر م، ج، دي، جويه، مطابع بريل، ليدن، ١٨٦٩م.
- المسعودي، علي بن الحسين، التنبيه والإشراف، تصحيح عبد الله الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، د.ت.
- الىعقوبى، أحمد بن إسحاق، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ط٦، ١٩٩٥م.

المراجع والأبحاث :

- حسين، خليل، خلافة سليمان بن عبد الملك ٩٦-٩٩هـ/٧١٥-٧١٧م، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، ع٥، ١٩٨٧م.
- عبابنة، علي، خلافة سليمان بن عبد الملك ٩٦-٩٩هـ/٧١٥-٧١٧م، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩٦م.
- غسان وشاح، محمد الهوبي، الدور الحضاري لسليمان بن عبدالملك في فلسطين (٨٦-٩٩ه/ ٧٠٥-٧١٧م)، مجلة كلية العودة للبحوث والدراسات القانونية والإنسانية، كلية العودة الجامعية، غزة، ع٤، ٢٠١٩م.
- سليمان الصريراة، التكوين الثقافي لعبدالملك بن مروان وولديه الوليد وسليمان، مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مؤتة، م٢٥، ع٥، ٢٠١٠م.

**

ملخص:

هدفت الدراسة إلى محاولة فهم الجدل حول خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان في المصادر التاريخية، ثم تحليل تعدد الروايات الطاعنة على سليمان وخلافته. وقد توصلت الدراسة إلى أن خلافة سليمان كانت فترة متميزة من تاريخ الخلافة الأموية على الرغم من قصرها، فقد اتجه خلالها الخليفة سليمان لإنصاف الناس ورد حقوقهم والتفريج عنهم، لكن هذه السياسة دفعت أعداء الأمويين إلى الطعن والتشكيك فيها؛ بهدف تشويه صورته وملامح سياسته، بادعاءات لا تصمد أمام النقد والتحليل، مدفوعةً بأسباب سياسية، أو لخلافات مذهبية دينية، وحقيقة الأمر أن خلافة سليمان مثلت تيارا إصلاحيا أمويا بدأ بسليمان واكتمل بعمر بن عبد العزيز.

The image of Caliph Suleiman bin Abdul Malik between praise and slander – an analytical study

Summary:

The study aimed to try to understand the controversy about the succession of Suleiman bin Abdul Malik bin Marwan in historical sources, and then analyze the multiplicity of narratives challenging Suleiman and his succession. The study found that the caliphate of Suleiman was a distinct period of the history of the Umayyad Caliphate despite its shortness, during which the Caliph Suleiman tended to do justice to people and restore their rights and release them, but this policy prompted the enemies of the Umayyads to challenge and question it, with the aim of distorting his image and the features of his policy, with claims that do not withstand criticism and analysis, driven by political reasons, or religious sectarian differences, and the fact of the matter is that the caliphate of Suleiman represented a reformist Umayyad current that began with Suleiman and was completed by Omar bin Abdul Aziz.

* * *